جمعية خدمة القرآن الكريم
The Holy Quran Custody Society

مقرر

الثقافة الإسلامية

لطلاب مراكز تحفيظ القرآن الكريم
في النشاط الصيفي السنوي

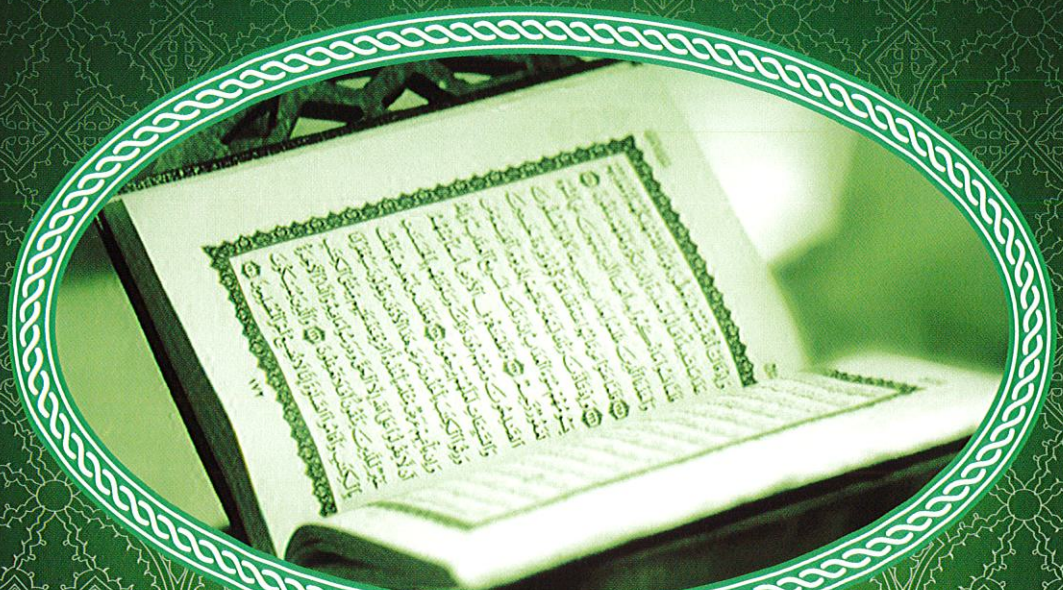

الدرس الأول
الاستعاذة والبسملة

● الموضوع الأول: الاستعاذة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

أولاً: معنى الاستعاذة:

(أعوذ بالله) مشتق من العَوْذ وهو الالتجاء والاعتصام.
فأعوذ بالله أي:ألتجؤ بالله وأعتصم.
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضي الله عنه:ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾. (صحيح الجامع٢٥٩٣) فقوله (أفضل ما تعوذ به المتعوذون) أي أفضل ما تحصنوا به والتجؤوا إليه واعتصموا به. ومنه قول نبي الله يوسف عليه السلام:(معاذ الله) أي:أستجير بالله وألتجؤ إليه وأعتصم به مما دعوتني إليه.

(الشيطان) مشتق من شَطَنَ أي بَعُد ومنه يقال:شطنت داره أي: بعُدت، ولهذا يطلق لفظ شيطان على كل من تمرد من جني أو إنسي أو حيوان، لأنه ابتعد عن طبعه الذي جبل عليه. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام:١١٢) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الكلب الأسود شيطان).

(الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي:مرجوم، كقول القائل:كفٌ خضيب أي:مخضوبة . ورجل لعين أي: ملعون.

والمرجوم: هو المطرود والمبعد عن الخير. وسمي الشيطان بالرجيم لأن الله طرده من سمواته، ورجمه بالشهب الثواقب. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك:٥)

ثانياً: صيغ الاستعاذة الواردة:

١. **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**

وهي الصيغة الواردة في القرآن الكريم.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل:٩٨)

٢. **(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)**

لما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد دعاء الاستفتاح (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) وكان أحياناً يزيد فيه فيقول:(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه). (صفة صلاة النبي للألباني ص٦٨)

همزه:نوع من الجنون. نفخه:الكِبر. نفثه:الشِعر.

ثالثاً: فضل التعوذ وفوائده:

١. أنه علاج للغضب وسبب لزواله.
٢. يطرد وساوس الشيطان لاسيما في الصلاة.
٣. سبب لحفظ الإنسان مما يضره إذا نزل منزلاً.

● **الموضوع الثاني: البسملة:** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

أولاً: معنى البسملة:

(بسم الله) الباء حرف جر، وهي هنا للاستعانة أي: أبدأ حال كوني مستعيناً بذكره.
والأصل أن تكتب (باسم) ولكن حذفت ألف (اسم) لكثرة الاستعمال، بخلاف قوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق:١) فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال.
(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة.
الرحمن: دالٌ على الصفة القائمة به سبحانه.

الرحيم: دالٌ على تعلقها بالمرحوم. قال تعالى ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٣) ولم يأت رحمن بهم.

فالرحمن رحمة عامة والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين.

والرحمن:ذو الرحمة الواسعة، لأن صيغة فعلان تدل على السعة والامتلاء، يقال: رجل غضبان: إذا امتلأ غضباً.

والرحيم:اسم يدل على الفعل لأنه فعيل بمعنى فاعل.

فيجتمع من (الرحمن الرحيم): أن رحمة الله واسعة وأنها واصلة إلى الخلق.

ثانياً:فضل البسملة:

١. سبب لطرد الشيطان عند الطعام وعند دخول المنزل.

٢. سبب لتصاغر الشيطان.لما روى أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي مليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال:كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعُثر بالنبي فقلت:تعس الشيطان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول:بقوتي صرعته، ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يصير مثل الذباب) (صحيح الجامع٧٤٠١)

الدرس الثاني
تفسير المعوذتين
سورة الفلق وسورة الناس

أولاً: تفسير سورة الفلق:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يقول: أعوذ برب الفلق.

والعَوْذ: هو الالتجاء والاعتصام . . وقد سبق تفصيل ذلك في الاستعاذة.

﴿ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ الرب هو المعبود الذي لا شريك له، والمالك الذي له الخلق والأمر، والسيد الذي له السيادة وحده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه.

﴿ الْفَلَقِ ﴾ هو الصبح، ومنه قوله تعالى ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ (الأنعام: من الآية٩٦)

وقيل:إنه يعم كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وغيرها لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام:٩٥)

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ هذا أول شيء استعاذ به في هذه السورة، وهو يشمل جميع ما خلق الله من إنسٍ وجنٍ وحيوان، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها. ويدخل فيه النفس فإن الإنسان يستعيذ من شر نفسه التي تأمره بالسوء لذلك ورد في خطبة الحاجة -التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بها خُطَبَه- كما في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول:(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا).

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الغاسق هو المظلم، إذا وقب أي:إذا دخل وهجم بظلامه. ثم اختلف بالمقصود من المظلم هنا:

- قيل: هو الليل إذا دخل بظلامه، ومنه قول الله تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ (الإسراء: من الآية٧٨)
وأمر بالاستعاذة من شره لأنه مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة وظهور أهل الشر والفساد.

- وقيل: الغاسق هو القمر إذا خُسِف أو غاب لما رواه أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال: (يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا،فإن هذا هو الغاسق إذا وقب) (صحيح الجامع ٧٩١٦)
فهو يطلق على القمر لورود الدليل، ولا مانع من إطلاقه على غيره كالليل. والله أعلم

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ النفاثات: هن الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يسحرن بها.

وقد ذكر الله النفاثات دون النفاثين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء.
ويحتمل أن يقال إن النفاثات هي الأنفس النفاثات فيشمل الرجال والنساء.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود سواء وصلت للحاسد أم لم تصله.
والحسد شر على صاحبه وعلى الناس... وما أجمل قول القائل:-
لله دَر الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله

فأُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شر الحاسد إذا أظهر حسده فأراد السوء أو الشر.

وهذا بخلاف الغبطة: وهي تمني حصول النعمة التي عند الغير مع بقائها عندهم، وهذا هو المقصود في الحديث الوارد في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا حسد إلا في اثنتين: « رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلِّمها ».

ويدخل في الحاسدِ العائنُ الذي يصيب بالعين. لذلك أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأينا شيئاً يعجبنا أن نقول: أو (اللهم بارك فيه) لحديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة، فإن العين حق ». (صحيح الجامع٥٥٦)

- وقد خص الله تعالى هذه الأمور الثلاثة مع أنها داخلة في قوله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ وذلك لخفاء الشر فيها، فالظلام ستر وخفاء لما يحصل فيه، والسحر خفي كذلك لا يعلم، وكذلك الحسد لا يظهر للمحسود.
- وطريق التخلص من هذه الشرور هو التوكل على الله، والالتجاء إليه والاعتصام به جل وعلا، وأن يكثر الإنسان من ذكر الله وقراءة القرآن والأوراد الشرعية.

ثانياً: تفسير سورة الناس:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أمرٌ للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم بأن يقول ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ : أي ألتجؤ وأستجير وأعتصم ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ : أي خالقهم ومصلح أمورهم.

﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم، فله الملك الكامل والسلطان القاهر.

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي معبودهم بحق الذي لا معبود سواه.

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ وهو الشيطان الذي يوسوس لابن آدم.

ووصف بالخنّاس لأنه يخنس مرة ويوسوس أخرى أي يختفي ويظهر، وكذلك يختفي وينصرف عند ذكر الله، ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴾ (التكوير:١٥) أي النجوم لاختفائها بعد ظهورها.

﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ وسوسته هي دعوة الناس إلى طاعته بكلام خفي يصل إلى القلب من غير سماع صوت.

﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ أي الذي يوسوس في صدور الناس إما أن يكون شيطاناً من الجن، ووسوسته كما تقدم. وإما أن يكون شيطاناً من الإنس، ووسوسته بأنه يعمل عمل شيطان الجن من تزيين الشر وتحسين القبيح، وإلقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة. كما قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام:١١٢)

ثالثاً: ما ورد في فضل المعوذتين:

١. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: اتبعتُ رسول الله وهو راكب فوضعت يدي على قدمه، فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود وسورة يوسف؟ فقال: لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾. (صحيح الجامع٥٢١٧)

وفي رواية (ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾. (صحيح الجامع٢٥٩٣)

٢. وعن عقبة بن عامر أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط؟ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾. رواه مسلم

٣. وفي حديث آخر قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ يا عقبة اقرأهما كلما [illegible]تَ وقمتَ، ما سأل سائل، واستعاذ مستعيذ بمثلهما). (صحيح الجامع ٧٩٤٨)

٤. وعن عبد الله بن خبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً تكفيكَ من كلِّ شيء). (صحيح الجامع٤٤٠٦)

٥. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما، وترك ما سواهما. (صحيح الجامع٤٩٠٢)

٦. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها. (متفق عليه)

الدرس الثالث

تفسير سورة الإخلاص

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

- **سبب النزول:**

أخرج الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. (صحيح الترمذي ٣٣٦٤)

﴿ قُلْ ﴾ قل يا محمد قولاً جازماً به، معتقدا له، عارفاً بمعناه.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا شبيه له في ذاته وأفعاله وصفاته.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي الذي يصمد إليه، أي تقصده جميع الخلائق في حوائجها لأنه الكامل في أوصافه جل وعلا.

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ومن كماله جل وعلا أنه مستغنٍ عن غيره فلم يلد ولم يولد. لذلك جعل الله من أعظم الفرية والكذب أن ينسب إلى الله الولد ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ (مريم:٨٨-٨٩)

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليس أحدٌ أصبرَ على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم ».

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي ليس لله مكافئاً أو مشابهاً أو مماثلاً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: من الآية١١)

- **ما ورد في فضل سورة الإخلاص:**

١. روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ».

قال أهل العلم: إنها عدلت ثلث القرآن، لأن القرآن أنزل أثلاثاً، ثلث منه أحكام، وثلث منه وعد وعيد، وثلث منه أسماء الله وصفاته، وقد جمعت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أحد الأثلاث وهو الأسماء والصفات.

ويدل على هذا ما رواه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءا من أجزاء القرآن.

تنبيه: سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الإجزاء.
فلو أن الإنسان كررها في الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة.

٢. روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً في سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه.
وفي رواية الترمذي: (إن حبها أدخلك الجنة).

الدرس الرابع

تفسير سورة المسد

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

- **سبب النزول:**

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى: يا صباحاه-كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه- فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حدثتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك. فأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أي خسرت وخابت يداه، وخصت اليدين بالخسران لأن العمل أكثر ما يكون بهما، والمقصود هو نفسه خسر وخاب. لذلك أكد الله ذلك بقوله ﴿ وَتَبَّ ﴾.
وأبو لهب هو أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عبد العزى ابن عبد المطلب ويُكنى بأبي لهب لإشراق وجهه وبياضه وحسنه، وكان شديد العداوة لرسول الله وكثير التنقص منه ومن دينه صلى الله عليه وسلم.

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وولد.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي ذات شرر وتلهب وإحراق شديد.

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ أي ستصلى هي كذلك في النار.

وامرأة أبي لهب هي أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب،وكانت هي وزوجها أبو لهب من أشد الناس عداوةً للنبي صلى الله عليه وسلم.

ووصفت بأنها حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب للمسجد.

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أي في عنقها حبل من ليف كانت تربطه لتحمل به الحطب.

الدرس الخامس

تفسير سورة النصر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

- روى مسلم عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت جميعاً؟ قلت: نعم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾. قال: صدقت.

- في هذه السورة بشارة وأمر وإشارة.

فالبشارة: هي البشارة بنصر الله لرسوله على المشركين، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بعد أن كانوا يدخلون فراداً خائفين.

روى البخاري عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأحياء تَلَوَّم -أي تنتظر- بإسلامها فتح مكة يقولون: دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي صادق.

وأما الأمر: فهو الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يشكر الله تعالى على النصر والفتح، ويسبح بحمده ويستغفره.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنه قالت:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ». قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. فقال: خبرني ربي أنِّي سأرى علامةً في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتها ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكة ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾.

وأما الإشارة: فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب ودنا.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لمَ تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريَهم منّي فقال: ما تقولون في ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ حتى ختم السورة فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري، أوْ لم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس أكذلك قولك ؟ قلت: لا. قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

- كان النبي صلى الله عليه و سلم كثير الاستغفار فقد قال عليه الصلاة والسلام:استغفروا ربكم إني استغفر الله و أتوب إليه كل يوم مئة مرة. (صحيح الجامع٩٤٤)

- والاستغفار سبب لحصول الرزق والغيث قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح:١٠-١١-١٢)

- وسيد الاستغفار كما ورد في صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

الدرس السادس

تفسير سورة الكافرون

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾

- **سبب النزول:**

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه السورة أن كفار قريش من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله تعالى هذه السورة آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من دينهم ومن الشرك الذي هم عليه.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ أمرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول مخاطباً الكافرين.

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ تبرأٌ مما كانوا يعبدون من دون الله ظاهراً وباطناً.

﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة.

ثم كرر هذا المعنى بقوله تعالى:

﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وهذا التكرار فيه تأكيد للمعنى وبيان المفاصلة التامة بين عبادة الله وحده لا شريك له وعبادة الأصنام.وقيل: إنها ليست تكراراً وإنما هي نفي لهذا الأمر حتى في المستقبل.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ وسمّى عبادتهم للأصنام ديناً لأنهم اعتقدوه ديناً. وقيل: المعنى لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني.

- ثبت أن سورة الكافرون تعدل رب القرآن. (انظر صحيح الجامع٤٤٠٥)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها هي وسورة الإخلاص في سنة الفجر وسنة المغرب وركعتي الطواف.

وكذلك يستحب قراءتها قبل النوم لقوله عليه الصلاة والسلام : إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءةٌ من الشرك. (صحيح الجامع٢٩٢)

الدرس السابع

تفسير سورة الكوثر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾

﴿ إِنَّآ ﴾ أي إن الله جل وعلا يخاطب نبيّه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء بالجمع للعظمة.

﴿ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ يذكر الله تعالى ما منّ به على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم من إعطائه الكوثر.

والكوثر: هو نهرٌ في الجنة لما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهرٍ حافتاه قباب الدُّر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربّك، فإذا طينه أو طيبه مسك أَذْخَر.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ لمّا ذكر الله تعالى ما منّ به على نبيه من هذا الكوثر، أمره بشكر الله تعالى على ذلك، بالصلاة والنحر لله وحده لا شريك له.

والمراد بالصلاة هنا جميع الصلوات المفروضة والنوافل، وأول ما يدخل فيها الصلاة المقرونة بالنحر وهي صلاة عيد الأضحى.

﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ أي تقرب إلى الله تعالى بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم.
ولعله ذكر النحر هنا لأن الإبل أنفع من غيرها للمساكين، وقد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مائة بعير ونحر منها ثلاثةً وستين بيده.

والأمر في الآية أمرٌ له وللأمة، فعلينا أن نخلص الصلاة لله، وأن نخلص النحر لله تعالى.قال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:١٦٢)

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أي مبغضك، والشنئان هو البغض، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ (المائدة: من الآية٨)

﴿ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ من بتر بمعنى قطع أي هو الأقطع أي المنقطع من كل خير.

لذلك انقطع ذكر المشركين بموتهم وهلاكهم وبقي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح:٤).

- وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتَوْه، فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ قال: وأنزلت عليه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾... إلى قوله ﴿ نَصِيرًا ﴾ (النساء:٥١-٥٢).

الدرس الثامن

تفسير سورة الماعون

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ يخاطب الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مستفهماً عن أولئك الذين يكذّبون بالدين. والاستفهام هنا للتعجب من حال هؤلاء المكذبين.
والدين هنا هو الجزاء بالثواب أو بالعذاب، أي الذين يكذّبون بالبعث والحساب. كما في سورة الفاتحة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي يوم البعث والحساب والجزاء. فالآية فيها تعريضٌ بهم وتنديد بسلوكهم.

﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أي من صفات من يكذب بالدين والجزاء أنه يدع: أي يدفع بشدة وعنف. ومنه قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ (الطور:١٣) أي يدفعون بشدة وعنف إلى جهنم.

واليتيم هو من فقد أباه قبل البلوغ، فإذا بلغ فلا يسمى يتيماً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتم بعد احتلام. (صحيح الجامع٧٦٠٩)

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على فضل الإحسان إلى الأيتام:
منها ما رواه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.

﴿ وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أي لا يحث ولا يأمر غيره على إطعام المسكين.

وهاتان الصفتان قد وردتا في سورة الفجر قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الفجر:١٧- ١٨)

وهما من صفات من يكذّب بالبعث والجزاء والحساب، إذ لو آمن بالجزاء وأنه سيثاب على إحسانه لليتيم والمسكين لبادر إليه.

لذلك قال تعالى في سورة الإنسان ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الانسان:٨) ثم قال بعد ذلك مبيناً الدافع لذلك ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الانسان:٩)

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ الويل وادٍ في جهنم، ويطلق على العذاب عموماً.

والمقصود بالمصلّين هنا أي الذين يصلّون مع الناس أو بمفردهم، ولكنهم ساهون عن صلاتهم.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أي غافلون عنها لا يقيمونها على ما ينبغي، فيؤخرونها عن وقتها ولا يقيمون ركوعها ولا سجودها ولا أركانها ولا يخشعون فيها، لا يذكرون الله فيها إلا قليلاً.

وفرقٌ بين الساهي عن الصلاة وبين الساهي في الصلاة، فالسهو في الصلاة أن ينسى شيئاً في صلاته، فهذا لا يُلام عليه، وقد وقع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ أي يُرون الناسَ أنهم يصلون طاعةً لله وهم ليسوا كذلك. كما قال تعالى عن المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(النساء: من الآية١٤٢)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الرياء فقال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء». (صحيح الجامع١٥٥٥)

وبين أنّه شرك خفي بقوله عليه الصلاة والسلام:الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل. (صحيح الجامع٣٧٢٩)

وسماه النبي صلى الله عليه وسلم خفياً لشدة خفائه، ثم بين كيف نتخلص منه في حديث أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيءٍ إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم». (صحيح الجامع٣٧٣١)

﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ أي أنهم لم يحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء والقدر والدلو والفأس والكتاب وغيرها.

مادة الحديث الشريف

الدرس الأول

فَضْلُ تعلّمِ القرآن الكريم وتعليمِه

عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِىِّ عَنْ عُثْمَانَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِى إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ ، قَالَ وَذَاكَ الَّذِى أَقْعَدَنِى مَقْعَدِى هَذَا .

- **المفردات:**

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) أي خير المتعلّمين والمعلّمين من كان تعلّمه وتعليمه في القرآن لا في غيره، إذ خير الكلام كلام الله، فكذا خير الناس بعد النبيين من اشتغل به.

(قال وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج) قال ابن كثير- رحمه الله - في (فضائل القرآن):وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمّة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام، فقعد يعلّم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحَجَّاج، قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلّم فيه القرآن سبعين سنة»

(قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا)

أي هذا الحديث الذي حدثني به عثمان هو الذي أجلسني مجلسي هذا، يعني هو الذي حملني على جلوسي مجلسي هذا للإقراء.

- **المعنى الإجمالي:**

إنّ تعلم القرآن الكريم والقيام بتعليمه وبيانه للناس من أفضل الأعمال وأجلِّ القرب، يحظى معلمه ومتعلمه بالخيرية في الدنيا والآخرة، وتعليم القرآن وتعلّمه من أشرف العلوم وأعلاها منزلة، والمشتغلون به داعون إلى الخير، وأعظم الخير نشر العلم وأفضل العلم كلام الله عز وجل، وهم مثابون مأجورون بإذن الله عز وجل، وذلك لأنّ نفع تعليم القرآن من النفع المتعدي الدائم الذي يثاب عليه صاحبه ولو بعد مماته، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من علَّم علمًا فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل) (صحيح الجامع٦٣٩٦).

وتعليم القرآن الكريم باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل ومجالاتها، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣)

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: والدعاء إلى الله تعالى يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع.

بل إن معلم القرآن والعامل به من خيار الأمة، فهو خيار من خيار، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية١١٠).

وما ذاك إلاّ لأنّ تعلّم القرآن وتعليمه هو الأساس الذي يقوم عليه الدين وبه تعرف الشرائع والأحكام، وبنوره تستضيء الأمّة وتسير على طريقه وتتربّى على منهجه.

- **فوائد الحديث:**

١. الحث على تعلُّم القرآن وتعليمه، وأنه أفضل أعمال البِرّ كلها.
٢. أنّ مَن تعلَّمَ القرآن وعلّمه هو أفضل الناس وخيرهم، لأنه مشتغل بأفضل الكلام وأخيره.
٣. تنبيه العالم إلى نفع غيره بما علمه.
٤. بيان ما كان عليه سلف هذه الأمة من إتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والعمل بالعلم إذ أنّ أبا عبد الرحمن جلس لإقراء القرآن عملا بهذا الحديث الذي بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقبله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه راوي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ من أعظم مناقبه جمع القرآن ليتيسر للناس قراءته وإقراؤه، وكان تاليا لكتاب الله حتى في آخر لحظاته رضي الله عنه، فقد قتل رضي الله عنه وأرضاه وهو يقرأ القرآن.

الدرس الثاني

الإخلاص لله تعالى
في تعلّم القرآن الكريم وتعليمه

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنْهُ قَالَ: سمعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم يَقُولُ: «إنَّ أوَّلَ النَّاس يُقْضَى يوْمَ الْقيامَة عَلَيْه رجُلٌ اسْتُشْهدَ، فَأُتيَ به، فعرَّفَهُ نعْمَتَهُ، فَعَرفَهَا، قالَ: فَمَا عَملْتَ فيها ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهدْتُ: قالَ كَذَبْت، وَلكنَّكَ قَاتلْتَ لأنْ يُقالَ جَريء، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمرَ به فَسُحبَ عَلى وَجْهه حَتَّى أُلْقيَ في النَّار. وَرَجُل تعلَّم الْعلْمَ وعَلَّمَهُ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأتيَ به، فَعَرَّفَهُ نعَمهُ فَعَرَفَهَا. قالَ: فمَا عملْتَ فيهَا؟ قالَ: تَعلَّمْتُ الْعلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فيكَ الْقُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكنَّك تَعلَّمْت الْعلْمَ وَعَلَّمْتَهُ، وقَرَأْتُ الْقرآن ليقالَ: هو قَارىءٌ، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أمرَ، فَسُحبَ عَلى وَجْهه حَتَّى أُلْقيَ في النَّار، وَرَجُلٌ وسَّعَ اللَّه عَلَيْه، وَأعْطَاه منْ أصنَاف المَال، فَأُتي به فعرَّفَهُ نعمَهُ، فَعَرَفَهَا. قال: فَمَا عَملْت فيها؟ قال: ما تركتُ من سَبيل تُحبُّ أنْ يُنْفَقَ فيهَا إلاَّ أنْفَقْتُ فيها لَك. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكنَّكَ فَعَلْتَ ليُقَالَ: هو جَوَادٌ فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أمرَ به فَسُحبَ عَلَى وجْهه ثُمَّ أُلْقيَ في النار» رواه مسلم.

وَفي روَاية أنَّهُ لمَّا بلغَ هَذا الحديثُ معاويةَ بنَ أبي سُفيان رَضيَ اللهُ عنْهُ قَال: قَد فُعلَ بهؤلاء هَذَا فَكَيفَ بمَن بَقيَ من النَّاس؟ ثُمَّ بَكَى مُعاويةُ بُكاءً شديداً حَتَّى ظَنَنَّا أنَّه هَالك، ثُمَّ أفاقَ مُعاويةُ ومَسَح عَن وَجْهه وقالَ: صَدَقَ اللهُ ورسولُهُ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود:١٥- ١٦)

- **المفردات:**

كذبْت: أي في دعوى الإخلاص أو في هذا القول.

جريء: من الجراءة فهو مهموز أي شجاع.

جواد: أي سخي كريم.

- **المعنى الإجمالي:**

الإخلاص لله جل وعلا شرطٌ لقبول الأعمال عند الله، وخاصة تعلّم العلم وقراءة القرآن. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥)

والرياء وعدم الإخلاص من الشرك الأصغر الذي حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». (صحيح الجامع١٥٥٥)

فهو محبط للعمل، وموجب لصاحبه العذاب، كما في الحديث الذي معنا. فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقي الله في نفسه، ويخلص العمل لله تعالى.

- **فوائد الحديث:**

١. فيه دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، والحث على وجوب الإخلاص في الأعمال.
٢. أنّ النصوص العامة الواردة في فضل الجهاد وتعلّم العلم وقراءة القرآن والإنفاق إنّما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً.
٣. فيه دليل على أنّ فعل الطاعات العظيمة مع سوء النية من أعظم الوبال على فاعله، فإن الذي أوجب سحبه في النار على وجهه هو فعل تلك الطاعة المصحوبة بتلك النية الفاسدة، وكفى بهذا رادعاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الدرس الثالث

احفظ الله يحفظك

عن ابن عبَّاس - رضيَ اللَّه عنهمَا - قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم يوْماً فَقال: «يَا غُلامُ إنِّي أُعلِّمكَ كَلمَات: احْفَظ اللَّه يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللَّه تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللَّه، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، واعلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أَنْ ينْفعُوكَ بشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إلاَّ بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّه لَكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بَشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّه عليْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وجَفَّت الصُّحُفُ».

رواهُ التِّرمذيُّ وقَالَ : حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ (صحيح الجامع٧٩٥٧).

- **المفردات:**

(احفظ الله) يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه.

(يحفظك) يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، حفظه الله، فإنّ الجزاء من جنس العمل.

(احفظ الله تجده تجاهك)، وفي رواية: (أمامك) معناه: أنّ مَن حَفظ حدود الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده.

(إذا سألت فاسأل الله) سؤال الله هو دعاؤه والرغبة إليه.

(وإذا استعنت ، فاستعن بالله) الاستعانة بالله هي طلب العون من الله.

(رفعت الأقلام وجفت الصحف) يعني أنّ كتابة ما هو كائن قد انتهت، وأنّه لن يكون شيء إلا على وفق ما كتب وقُدِّر.

- **المعنى الإجمالي:**

هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، فقد أمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ حدود الله، وذلك بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية١١٢)

وقال تعالى :﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (قّ:٣٢)

وفُسّر الحفيظ هاهنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها.

فمَن حَفظ الله فإنّ الله يحفظه، وحِفظُ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله -عز وجل-: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾(الرعد: من الآية١١). قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلّوا عنه.

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان،قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (ابراهيم:٢٧)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ (لأنفال: من الآية٢٤) ، قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجرّه إلى النار.

وقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ندعوَا قبل النّوم بهذا الدعاء: (اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين). (متفق عليه)

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ من حفظ الله فإن الله سيكون معه بنصره وتأييده وتوفيقه، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل:١٢٨)

قال قتادة -رحمه الله-: مَن يتّقِ الله يكنْ معه، ومن يكنِ الله معه، فمعه الفئة التي لا تُغلَب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يَضل.

وهذه هي المعيَّة الخاصة المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون-عليهما السلام-: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه:٤٦) ، وقول موسى: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء:٦٢).

وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر -رضي الله عنه- وهما في الغار: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا) (متفق عليه).

وأما المعيَّة العامة فهي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمال العباد جميعاً، فهي مقتضية لتخويف العباد منه سبحانه. قال تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ (المجادلة: من الآية٧).

ثم وجهَنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، بأن لا ندعوا إلا الله ولا نستعين إلا به سبحانه، كما قال تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) فالدعاء هو العبادة، والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله - عز وجل -، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: ((لا حول ولا قوة إلا بالله))، فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة.

ثم بيّن عليه الصلاة والسلام أنّ النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواه. كما قال: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام:١٧).

ثم بيّن عليه الصلاة والسلام أنّ كلّ ما يحصل للإنسان مقدّر ومكتوب عليه، كما قال تعالى﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد:٢٢)

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)

- **فوائد الحديث:**

١. أنّ من حَفِظَ أوامر الله بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظه الله في نفسه ودينه وماله وولده، وفي جميع ما آتاه الله من فضله.
٢. الله جلّ وعلا ينجّي المؤمن عند الشدائد إذا كان حافظاً لحدود الله عند الرخاء والصحة والغنى.
٣. حَصْرُ الدعاء والاستعانة بالله وحده دون غيره، وفيه دلالة على أنها من أجلّ العبادات، وعليها مدار الدين.
٤. أنّ الخلقَ عاجزون عن جلب النفع للإنسان أو دفع الضر عنه ما لم يقدّرِ اللهُ ذلك.
٥. تثبيت عقيدة الإيمان بالقَدَر خيرِه وشرِه فهي من أركان الإيمان.

الدرس الرابع

الصحبة الصالحة

وعن أَبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- **المفردات:**

حامل المسك: هو بائع الطيب أو العطار.

نافخ الكير: الحدّاد. والكير: جلد غليظ ينفخ الحداد به النار.

يُحذِيَك: بضم الياء وسكون الحاء وكسر الذال المعجمة بمعنى يعطيك بغير مقابل، من الإحذاء وهو الإعطاء، يقال: أحذيت الرجل إذا أعطيته الشيء واتحفته به.

تبتاع منه: أي تشتري منه بمقابل.

- **المعنى الإجمالي:**

الإنسان لا يستطيع أن يعيشَ في هذه الدنيا بمفرده، إذ لا بدّ أن يخالطَ غيرَه من الناس، لذلك أرشدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مصاحبة ومجالسة الصالحين والفضلاء، واجتناب مصاحبة الأشرار والفُسّاق. ذلك أنّ مصاحبة الأخيار تورث الخير، ومصاحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا هبّت على الطِّيب عَبَقت طيبا، وإن مرّت على النَتَن حملت نتنا.

والحاصل أن الصحبة تؤثّر، ولذا قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة:١١٩)

- **فوائد الحديث:**

١. فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجوره وبطالته.

٢. تقريب المعنى بضرب الأمثال، فقد ضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم مثلا للجليس

والصاحب الصالح بالعطار الذي يبيع العطر والطِّيب، والجليس والصاحب السوء بالحدّاد الذي يستخدم النار في عمله.

٣. لن يَعدَم الإنسانُ الخيرَ من مجالسة الصالحين ولو كان قليلاً، ولن يَعدَم الشر من مجالسة السيئين ولو كان قليلاً.

٤. قال بدر الدين العيني –رحمه الله– في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: وفي هذا الحديث مدحٌ للصحابة –رضوان الله عليهم– حيث كان جليسُهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قيل: ليس للصحابي فضيلةٌ أفضل من فضيلة الصحبة، ولهذا سُمّوا بالصحابة مع أنهم علماء كرماء شجعاء إلى تمام فضائلهم.

الدرس الخامس

بر الوالدين

١. عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قَالَ : سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - : أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلَى الله تَعَالَى ؟ قَالَ: ((الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا)) ، قُلْتُ: ثُمَّ أي؟ قَالَ: ((برُّ الوَالِدَيْنِ)) ، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ في سبيلِ الله)) . مُتَّفَقٌ عَلَيه.

٢. وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً إلاَّ أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ)) رواه مسلم.

٣. وعنه، عن النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((رغم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ مَنْ أدْرَكَ أبَويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدهُما أَوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)) رواه مسلم.

- **المفردات:**

(لا يَجْزِي): بفتح أوله ولا همزة في آخره: أي: لا يكافئ.

(رغِم أنفُ): أي لصَق بالرَّغام وهو التراب. وهذا كناية عن الذُّل.

- **المعنى الإجمالي:**

فضل الوالدين عظيم، وحقُّهما على الإنسان كبير، لذلك قرن الله عز وجلّ بين الإحسان للوالدين والنهي عن الشرك بالله في أكثر من آية قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣- ٢٤)

- **فوائد الأحاديث:**

١. برّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد أداء الصلاة في وقتها. لأن الصلاة حق الله، وحق الوالدين متعقب لحق الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ (لقمان :١٤)

٢. لا يكافئ الإنسان والديه مهما قدّم لهما من إحسان وبر إلا أن يجدهما عبدين فيعتقهما، وهذا يدل على عظم فضلهما عليه.

٣. عظم ثواب برّ الوالدين، وأن برّهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفَه.

الدرس السادس

تحريم عقوق الوالدين

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ)) رواه البخاري.

٢. وعنه أنّ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((مِنَ الكَبَائِر شَتْمُ الرَّجُل وَالدَيه !))، قالوا: يَا رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالدَيْه ؟! قَالَ: ((نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيه.

- **المفردات:**

العُقوق: مشتق من العق وهو القطع، وعقّ والده يعقّه عقوقا فهو عاقّ إذا آذاه وعصاه وخرج عليه، وهو ضد البِر به.

الكبائر: مفردها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب، المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها.

- **المعنى الإجمالي:**

يبيّن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول عِظَم خطر عقوق الوالدين، وأنه من كبائر الذنوب التي تُشابه في قبحها وخطرها الشرك بالله وقتل النفس واليمين الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار والعياذ بالله تعالى.

وفي الحديث الثاني يبيّن عليه الصلاة والسلام أنّ من الكبائر أن يشتم الرجل والديه، سواء كان ذلك مباشرة أو أن يتسبب هو في شتم والديه، بأن يبدأ بشتم والدي رجلٍ آخر، فيشتم الرجل الآخر والديه هو، وهذا داخل في عقوق الوالدين.

- **فوائد الحديثين:**

١. إنّ من أكبر الكبائر فيما يتعلق بحق الله الإشراك، وفيما يتعلق بحق الناس عقوق الوالدين.

٢. فيه دليل على أنّ من تسبّب في شيء جاز أن يُنسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقا لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيا ليس بالهين كما تقدم في تعريف العقوق.

٣. استبعد الصحابة -رضي الله عنهم- أن يشتم الرجل والديه مباشرة، لأنه ينافي المروءة والذوق السليم فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك قد لا يكون مباشرةً ولكن يكون عن طريق التسبب بأن يشتم الرجل والدي شخص فيقابله بالمثل ويشتم والديه.

الدرس السابع

المؤمن القوي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّه - صلى الله عليه وسلم - ((اَلْمُؤْمِنُ اَلْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اَللَّه مِنْ اَلْمُؤْمِنِ اَلضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّه، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّه وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

- **المفردات:**

(المؤمن القوي) الإشارة بالقوة ها هنا إلى قوة الإيمان والعزم والحزم والإرادة، لا إلى قوة البدن فحسب.

(وفي كل خير) أي في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.

(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) أي احرص على طاعة الله تعالى، والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك، ولا تعجز، ولا تكسل عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة.

(و إن أصابك شيء) أي بعد بذل الجهد والاستعانة بالله عز وجل.

(فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا) أي لمَا أصابني ما أصابني، و(لو) كلمة للتمني.

(فإنّ لو تفتح عمل الشيطان) أي تفتح عليك الوساوس والأحزان والندم والهموم.

- **المعنى الإجمالي:**

قوة الإيمان والعزيمة وعلوّ الهمة خلق عظيم يجعل صاحبه أكثر إقداما على الأمور العظيمة، وأشد عزيمة في الدعوة إلى الله تعالى، وفي الصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها والمحافظة عليها، وقوة العزيمة وعلو الهمة، والنشاط مع الاستعانة بالله جل وعلا يفتح له عمل كل خير، وأما التمنّي فهو رأسُ أموال المفاليس، والعجز مفتاح كل شر، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: من الآية١٥٩).

وقد حضّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على الرضى بقضاء الله وقدره، بعد بذل الجهد، واستفراغ الوسع في الحرص على النافع. فإذا أصاب العبدَ ما يكرهه، فلا ينسب ذلك إلى ترك بعض

الأسباب التي يظن نفعها لو فعلها، بل يسكن إلى قضاء الله وقدره ليزداد إيمانه، ويسكن قلبه وتستريح نفسه، فإنّ (لو) في هذه الحال تفتح عمل الشيطان بنقص إيمانه بالقَدَر، واعتراضه عليه، وفتح أبواب الهم والحُزن المُضعِف للقلب. وهذه الحال التي أرشد إليها النبيّ صلى الله عليه وسلم هي أعظم الطرق لراحة القلب، وأدعى لحصول القناعة والحياة الطيبة، وهو الحرص على الأمور النافعة، والاجتهاد في تحصيلها، والاستعانة بالله عليها، وشكر الله على ما يسَّرَه منها، والرضى عنه بما فات، ولم يحصل منها.

- **فوائد الحديث:**

١. أنّ المؤمنين يتفاوتون في الخيرية، ومحبة الله والقيام بدينه وأنهم في ذلك درجات ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٣٢)

٢. أنّ المؤمنين وإن كانوا مشتركين في الخير بسبب الإيمان فإنهم يتفاضلون بالقوة، فمن كان أكثر قوة في إيمانه وفي الأسباب المؤدية إلى حماية الدين ونصره فهو خير وأحب إلى الله تعالى.

٣. على الإنسان أن يحرص على ما ينفعه في دنياه وأخراه.

٤. على الإنسان أن يفعل المأمور وأن يستسلم للمقدور، فإنه ما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن.

٥. نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول (لو) ندماً على ما فات، لأنها مفتاحُ لوساوس الشيطان، وفيها تسخّطُ على قَدَر الله تعالى.

٦. قول (لو) في الأمور الدنيوية الفائتة نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، أمّا قول (لو) في أمور الدين أو أمور الدنيا المستقبلة فلا مانع منه.

مثال (لو) في أمور الدنيا المستقبلة أو الحاضرة قولك: لو جئتني لأكرمتك.

ومثاله في اللأمور الدينية قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو استقبلت من أمري ما استدبرت...) وقولك : لو كنتُ أعلم أجر هذا لعملته.

الدرس الثامن

الاعتراف بنعم الله علينا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّه - صلى الله عليه وسلم -: انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اَللَّهِ عَلَيْكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

- **المفردات:**

أسفل منكم: أي في أمور الدنيا.

فهو أجدر: أي أحق.

أن لا تزدروا: أي لا تحتقروا.

- **المعنى الإجمالي:**

نعم الله على الإنسان كثيرة، لا تعد ولا تحصى، قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:١٨)

لذلك أرشدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى ما يُعينُنا على شكر الله على نعمه، وذلك أنّ الإنسان إذا رأى من فُضّل عليه في الدنيا، طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله عليه، وهذا هو طبع غالب الناس، لذلك قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٣١)

وأمّا إذا نظر إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فقنع بها وشكرها.

فينظر إلى المبتلى بالأسقام والأمراض، فيشكر الله تعالى على نعمة الصحة والعافية، وينظر إلى من في خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم، فيشكر الله على نعمة السلامة من تلك العاهات التي تجلب الهم والغم، وينظر إلى من ابتلي بالفقر أو بالدَّين، فيشكر الله على نعمة الغنى عما في أيدي الناس، وهكذا في سائر النعم.

قال عوف بن عبد الله بن عتبة –رحمه الله–: كنت أصحب الأغنياء، فما كان أحد أكثر هماً منّي، كنت أرى دابة خيراً من دابتي، وثوباً خيراً من ثوبي، فلمّا سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت.

وأمّا في أمر الدين فإنّه ينظر إلى من هو فوقه ممن اجتهد في الطاعات، وسارع في الخيرات، فيعلم أنه من المفرّطين.

فبالنظر الأول يشكر ما لله من النعم، وبالنظر الثاني يستحي من مولاه، ويقرع باب التوبة بأنامل الندم، فهو بالأول مسرور لنعمة الله، وفي الثاني منكسر النفس حياءً من مولاه.

- **فوائد الحديث:**

١. أنعم الله عزّ وجلّ علينا بنعمٍ كثيرة، تستوجب منّا شكر الله عليها حتى تدوم، بل وتزيد، قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (ابراهيم:٧)

٢. النظر في أحوال من دوننا في الدنيا توجب الرضى برزق الله عزّ وجلّ، وتعظّم عندنا نعمَه سبحانه، والنظر في أحوال من فوقنا في الدنيا توجب السخط بالرزق، ومدّ العين إلى زينتهم وما هم فيه، لذلك نُهينا عن ذلك.

٣. الإنسان إذا أراد أن يتنافس مع غيره فليكن التنافس في مجال الخير والفضائل، مستخدماً في ذلك ما منحه الله من مالٍ وصحةٍ ولو كان بقدرٍ ضئيل، وهو ما يشير إليه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا في اثنتين) والمراد لا ينبغي أن تكون هناك غبطة وتنافس واهتمام إلا في هاتين الخصلتين (رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس) رواه البخاري ومسلم.

الدرس التاسع

من وسائل محو الخطايا ورفع الدرجات

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ألا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ به الخَطَايَا وَيَرْفَعُ به الدَّرَجَات؟)) قَالُوا: بَلَى يَا رسولَ الله، قَالَ: ((إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)) رواه مسلم.

- **المفردات:**

(محو الخطايا) أي غفرانها.

(ورفع الدرجات) إعلاء المنازل في الجنة.

(إسباغ الوضوء على المكاره) أي إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية، وذلك بأن يأتي بالماء على كل عضو يلزمه غسله مع إمرار اليد.

والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك.

(كثرة الخطا إلى المساجد) يعني أن يقصد الإنسان المساجد، وذلك للصلوات الخمس، وكثرة الخطا تكون ببعد الدار وكثرة التكرار.

(وانتظار الصلاة بعد الصلاة) يعني أن الإنسان من شدة شوقه إلى الصلوات، كلما فرغ من صلاة، فقلبه متعلق بالصلاة الأخرى ينتظرها.

(فذلكم الرِّباط) أي الرِّباط المرغّب فيه، وأصل الرِّباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة. والرِّباط ها هنا ملازمة المسجد لانتظار الصلاة.

- **المعنى الإجمالي:**

يسعى كل مسلم إلى أن يغفر الله ذنوبه، ويكفّر عنه خطاياه، ويرفع له درجاته في الجنة، وقد دلّنا النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على بعض الأسباب التي يحصل بها ما يسعى إليه المسلم من محو الخطايا ورفع الدرجات فمنها:

- **السبب الأول: الوضوء**

وقد تكاثرت النصوص عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بتكفير الخطايا بالوضوء كما في صحيح

مسلم عن عثمان رضي الله عنه أنه توضأ ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال (من توضأ هكذا غُفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة).

وفيه أيضا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره) (متفق عليه).

وهنا حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على إسباغ الوضوء يعني إتمامه، فيكون فيه مشقة على النفس، فإذا أسبغ الإنسان وضوءه مع هذه المشقة، دلّ هذا على كمال الإيمان، فيرفع الله بذلك درجات العبد ويحط عنه خطيئته.

- **السبب الثاني: كثرة الخطا إلى المساجد**

وذلك لحضور صلاة الجماعة والمواظبة عليها، كما روى مسلم عن أبي هريرة –رضي اله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه: إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة).

وثواب المشي إلى الصلاة في الظُّلَم: النور التام في ظُلَم يوم القيامة كما في سنن أبي داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) (صحيح الجامع٢٨٢٣).

- **السبب الثالث من مكفرات الذنوب: انتظار الصلاة بعد الصلاة**

وهذا دلالة على تعلّق القلب بالمساجد والصلاة فيها، وقد بيّن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ من تعلّق قلبه بالمساجد سيكون تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة (سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله – وذكر منهم: ورجل قلبه معلق فى المساجد) (متفق عليه)

ويدخل في ذلك: الجلوس في المسجد للذكر وقراءة القرآن وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (الملائكة تصلي عل أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. ولا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) (متفق عليه).

- **فوائد الحديث:**

١. حسن تعليمه عليه الصلاة والسلام، أنه أحياناً يعرض المسائل عرضاً، حتى ينتبه الإنسان لذلك، ويعرف ماذا سيلقى إليه.

٢. الحث على إتمام الوضوء وإكماله، وخاصة في الأحوال التي يجد فيها الإنسان شيئاً من المشقة، فهو سبب لتكفير الذنوب.

٣. المحافظة على الصلاة في الجماعة، وتكرار الذهاب للمسجد سبب من أسباب تكفير الذنوب.

٤. الحرص على قضاء أكبر وقت ممكن في طاعة الله وفيما ينفع الإنسان، وذلك من خلال انتظار الصلاة بعد الصلاة.

٥. حبس النفس على طاعة الله بانتظار الصلاة له أجر الرِّباط في سبيل الله.

الدرس العاشر

احترام المساجد والمحافظة على نظافتها

عن أَنَسُ بْنُ مَالك رَضيَ الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فى الْمَسْجِد مَعَ رَسُول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فى الْمَسْجِد، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: « لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: « إِنَّ هَذه الْمَسَاجدَ لاَ تَصْلُحُ لشَىْء منْ هَذَا الْبَوْل وَلاَ الْقَذَر إِنَّمَا هىَ لذكْر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَة وَقرَاءَة الْقُرْآن ». قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً منَ الْقَوْم فَجَاءَ بدَلْوٍ منْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْه. مُتَّفَقٌ عَلَيْه وَاللَّفظ لمُسلم

- **المفردات:**

(الأعرابي) هو الذي يسكن البادية.

(لا تُزْرِموه) بضم التاء وإسكان الزاي وبعدها راء أي : لا تقطعوا، والإزرام: القطع.

(مه مه) هي كلمة زجر.

(فجاء بدلو فشنّه عليه) أي صبّه على البول.

- **المعنى الإجمالي:**

المساجد بيوت الله تعالى التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فقد جعلها الله أماكن للعبادة كالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى، لذلك وجب تنزيهها عن كل ما لا يليق بها من النجاسات والقاذورات وغيرها مما يُستقبح.

وفي هذا الحديث دخل أعرابي المسجد جاهلاً حرمة هذه المساجد، وما ينبغي أن تكون عليه من الطهارة والنزاهة، فبال في ناحية من المسجد، فقام له الناس منكرين عليه، فزجروه ونهروه، ولكن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحكيم الرؤوف الرحيم بأمّته أمرهم أن يتركوه حتى يُنهي بولَه، ثم بيّن له أنّ المساجد يجب أن تنزّه عن مثل هذه النجاسات، فهي مخصصة للعبادة.

- **فوائد الحديث:**

١. المساجد بيوت الله أقيمت لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن.

٢. تنزيه المسجد عن النجاسات، وتجنب تلويثه بالبصاق أو المخاط أو النخامة، سواء كان ذلك داخل المسجد أو عند عتباته أو على بابه أو في أماكن الوضوء، والقيام على إزالته إن وجد.

٣. في هذا الحديث بيان لرفق النبي صلى الله عليه وسلم بالأعرابي وحسن تعليمه له، فقد بُعث عليه الصلاة والسلام رحمةً للعالمين.

٤. الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً.

٥. دَفْعُ أعظم الضررين باحتمال أخفّهما؛ قال العلماء: كان قوله صلى الله عليه وسلم: (دعوه) لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، والنجاسة قد حصلت، فكان احتمال زيادتها أولى من إيقاع الضرر به. والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد.

مادة الفقه

كتاب الصيام

- **تعريف الصيام:**

- لغة: الإمساك ومنه قوله تعالى:﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ (مريم:٢٦) أي نذرت إمساكاً عن الكلام.

- شرعاً: التعبد لله سبحانه وتعالى بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

- **حُكم صيام رمضان:**

أجمعت الأمّة على أنّ صوم شهر رمضان فرض.

والدّليل على الفرضيّة الكتاب والسّنّة والإجماع.

أمّا الكتاب: فقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣)

وقوله ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ : أي فرض.

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥) .

وأمّا السّنّة : ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزّكاة ، والحجّ ، وصوم رمضان».

وانعقد الإجماع على فرضيّة صوم شهر رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام، وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام.

- **فضل الصيام:**

وردت في فضل الصيام أحاديث كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

أ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه». (متفق عليه)

ب - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ». (متفق عليه)

ج - وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ في الجنّة باباً، يقال له: الرّيّان، يدخل منه الصّائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصّائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد». (متفق عليه)

د - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثمّ انسلخ قبل أن يغفر له». (صحيح الجامع ٣٥١٠)

- **حكَم الصيام:**

تتجلّى حكمة الصّيام فيما يلي:

أ - أنّ الصّوم وسيلة إلى شكر النّعمة، إذ هو كفّ النّفس عن الأكل والشّرب والجماع، وإنّها من أجلّ النّعم وأعلاها، والامتناع عنها زماناً معتبراً يعرّف بقدرها، إذ النّعم مجهولة، فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك على قضاء حقّها بالشّكر، وشكر النّعم فرض عقلاً وشرعاً، وإليه أشار الله سبحانه وتعالى بقوله في آية الصّيام : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

ب - أنّ الصّوم وسيلة إلى التّقوى، لأنّه إذا انقادت نفس للامتناع عن الحلال طمعاً في مرضاة الله تعالى، وخوفاً من أليم عقابه، فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصّوم سبباً لاتّقاء محارم الله تعالى، وإليه وقعت الإشارة بقوله تعالى في آخر آية الصّوم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

ج - أنّ في الصّوم قهر الطّبع وكسر الشّهوة، لأنّ النّفس إذا شبعت تمنّت الشّهوات، وإذا جاعت امتنعت عمّا تهوى، ولذا قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشّباب: من استطاع منكم

الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم، فإنّه له وجاء. (متفق عليه) فكان الصّوم معيناً على الامتناع عن المعاصي.

د - أنّ الصّوم موجب للرّحمة والعطف على المساكين، فإنّ الصّائم إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذكر من هذا حاله في جميع الأوقات، فشعر بالرّقّة عليه، والرّحمة به، بالإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله تعالى من حسن الجزاء.

- **أركان الصيام:**

أ – النية، فلا بد من تبييت النية لصيام رمضان من الليل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يُجْمِع الصيامَ قبل الفجر فلا صيام له». (صحيح الجامع ٦٥٣٨) وذلك في الصيام الواجب لا النافلة.

ب – الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ (البقرة: من الآية١٨٧).

- **شروط صحة الصّوم:**

أ - الإسلام، وهو شرط عامّ للخطاب بفروع الشّريعة، فلا يصح الصيام من الكافر.

ب - العقل، فلا يجب الصّوم على المجنون.

ج - البلوغ، فلا يجب على غير البالغ، ولكن يؤمر به حتى يعتاد عليه، والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يَعقِل». (صحيح الجامع٣٥١٢)

- **شروط وجوب أدائه:**

أ - الصّحّة والسّلامة من المرض، لقوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(البقرة: من الآية١٨٥).

ب - الإقامة، للآية نفسها. ويجب على المريض والمسافر القضاء إن أفطرا إجماعاً، ويصحّ صومهما إن صاما.

ج - خلوّ المرأة من الحيض والنّفاس، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:(أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قال: فذلك من نقصان دينها). رواه البخاري

فإن صامت الحائض أو النفساء لم يجزئهما، ويجب عليهما القضاء، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصّوم، ولا نؤمر بقضاء الصّلاة.(متفق عليه)

- **سنن الصّوم ومستحبّاته:**

أ - السّحور، لحديث أنس رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «تسحّروا فإنّ في السّحور بركةً». (متفق عليه)

ب - تأخير السّحور، لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحّرنا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم ثمّ قام إلى الصّلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسّحور؟ قال: قدر خمسين آيةً». (متفق عليه)

ج - تعجيل الفطر، لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال النّاس بخير ما عجّلوا الفطر». (متفق عليه)

د - ويستحبّ أن يكون الإفطار على رطبات، فإن لم تكن فعلى تمرات، لحديث أنس رضي

الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلّي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء». (صحيح الجامع٤٩٩٥)

هـ - ويستحبّ أن يدعو عند الإفطار بما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر قال: «ذهب الظّمأ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله». (صحيح الجامع٤٦٧٨)

تنبيه: يردد كثير من الناس دعاء غير صحيح وهو «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت».

- **مفسدات الصوم:**

أ - الأكل أو الشرب متعمداً، لقوله تعالى ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ (البقرة: من الآية١٨٧).
أما من أكل أو شرب ناسياً فلا قضاء عليه، لقول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «من نسي و هو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله و سقاه». (صحيح الجامع٦٥٧٣)

ب - الجماع، فمتى جامع الصائم بطل صيامه، ولزمه قضاء ذلك اليوم الذي جامع فيه، ويجب عليه مع قضائه الكفارة وهي: عتق رقبة، فإن لم يجد الرقبة أولم يجد قيمتها، فعليه أن يصوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين، بأن لم يقدر على ذلك لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكينا، لكل مسكين نصف صاع من الطعام المأكول في البلد.

ج - إنزال المني بسبب تقبيل أو لمس أو استمناء أو تكرار نظر، فإذا حصل شيء من ذلك فسد صومه، وعليه القضاء فقط بدون كفارة، لأن الكفارة تختص بالجماع، للحديث القدسي: يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. (متفق عليه)

د - الحيضُ والنفاسُ، ولو في اللحظة الأخيرة من النهار، لما سبق من الأدلة في شروط الوجوب.

هـ - القيء عمداً: وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم متعمداً، فهذا يفطر به الصائم، أما إذا غلبه القيء، وخرج بدون اختياره، فلا يؤثر على صيامه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض». (صحيح الجامع٦٢٤٣)

ومعنى «ذرعه القيء» أي: خرج بدون اختياره، ومعنى قوله: «استقاء» أي: تعمد القيء.

- **ما لا يفسد الصّوم:**

أ - الغسل للتبرد، لحديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَرْج-اسم قرية- يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر. (صحيح سنن أبي داود٢٠٧٢)

ب - المضمضة والاستنشاق من غير مبالغة، لحديث لقيط بن صبرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً». (صحيح الجامع٩٢٧)

ج - الحجامة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «احتجم النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو صائم». رواه البخاري

وتكره إن خشي على نفسه ضعفاً، عن ثابت البُناني قال: سئل أنس بن مالك رضي الله عنه أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا، إلاّ من أجل الضعف. رواه البخاري

د - أن يصبح محتلماً أو جنباً، لحديث عائشة رضي الله عنها: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم». (متفق عليه)

هـ - السواك، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتُهم بالسواك مع كل صلاة». (متفق عليه)

فالأمر بالسواك مع كل صلاة يشمل رمضان كما يشمل غيره.

- **صيام التطوع:**

أ - صيام ستّة أيّام من شوّال، لما روى أبو أيّوب رضي الله عنه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان، ثمّ أتبعه ستّاً من شوّال، كان كصيام الدّهر». رواه مسلم
وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «جعل الله الحسنة بعشر أمثالها الشهر بعشرة أشهر و صيام ستة أيام بعد الشهر تمام السنة». (صحيح الجامع٣٠٩٤)

ب - صيام عاشوراء ويوم قلبه، لحديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال في صيام عاشوراء: «إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده». رواه مسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع». رواه مسلم

ج - صيام يوم عرفة، لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفّر السّنة الّتي قبله، والسّنة الّتي بعده. رواه مسلم

د - صيام يوم وإفطار يوم، لقول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «أحبّ الصّلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحبّ الصّيام إلى الله صيام داود: وكان ينام نصف اللّيل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً». (متفق عليه)

هـ - صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر». (متفق عليه)
ولما روى أبو ذرّ رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا ذرّ، إذا صمت من الشّهر ثلاثة أيّام، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة». (صحيح الجامع٧٨١٧)

و - صيام الاثنين والخميس، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه إن نبي الله صلى الله عليه و سلم كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس وسئل عن ذلك فقال إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس. (صحيح سنن أبي داود٢١٢٨)

ز- الصيام في محرم، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». رواه مسلم

ح - الصيام في شعبان، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان. (متفق عليه)

- **الأيام المنهي عن صيامها:**

أ - اليوم الأول من عيد الفطر وعيد الأضحى،
لحديث أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هذان يومان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيامهما: يوم فطركم من صيامكم واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم. (متفق عليه)

ب - أيام التشريق وهي الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر،
لحديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم أنهما قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي. رواه البخاري

ج - يوم الجمعة منفرداً،
لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده. (متفق عليه)

د - يوم السبت منفرداً،
لحديث عبد الله بن بسر عن أخته الصماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه». (صحيح الجامع٧٣٥٨)

هـ - يوم الشك، (وهو اليوم الذي يشك فيه أن يكون من شعبان أو من رمضان)
لحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم. (صحيح سنن أبي داود٢٠٤٦).

- **الاعتكافُ:**

لغةً: من عكف على الشّيء عكوفاً وعكفاً.
إذا لازمه وواظب عليه، وعكفت الشّيء: حبسته.
ومنه قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ (الفتح:٢٥)
وقوله تعالى:﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ (لأعراف:١٣٨)
وشرعاً: اللّبث في المسجد على صفة مخصوصة بنيّة.
وهو والجوارُ أو المجاورة بمعنى واحد، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: تحرَّوْا ليلةَ القدر في العشر الأواخر من رمضان».

- **حكمُ الاعتكاف:**

الاعتكاف سنة مستحبة، ويدل على ذلك قول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(البقرة: من الآية١٢٥) ومن هذه الآية نعرف أن الاعتكاف مشروع حتى في الأمم السابقة.
وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العَشْرَ الأواخرَ من رمضانَ حتى توفَّاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجهُ من بعده (رواه البخاري ومسلم).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعتكف العشر الأوَّل من رمضان، ثم اعتكف العَشْر الأوسط في قُبَّة تُركيَّة على سُدَّتها حصير قال: فأخذ الحصيرَ بيده فنحَّاها في ناحية القبة ثم أطلع رأسَه فكلَّم الناس فَدَنوْا منه فقال: إني اعتكفت العَشْر الأوَّل التمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العَشْر الأوسط ثم أُتيتُ، فقيل لي: إنها في العَشْر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فلْيعتكفْ، فاعتكف الناس معه ... (رواه البخاري ومسلم).

ولا يكون الاعتكاف إلا في مسجد لقوله تعالى ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٧)

ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصغي إليَّ رأسَه وهو مجاورٌ في المسجد، فأُرجِّلَه وأنا حائض». رواه البخاري

وينبغي على المعتكف أن يشغل نفسه بطاعة الله كالصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء ومذاكرة العلم ونحو ذلك.

ويكره له أن يشغل نفسه بما لا يعنيه من قول أو عمل.

ويباح له الخروج من معتكفه للحاجة التي لا بد منها. ويبطل الاعتكاف بالخروج لغير حاجة.

مادة العقيدة

مختصر من كتاب

(أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة)

الدرس الأول

أركان الإيمان

أساس العقيدة الإسلامية هو أصول الإيمان الستة التي ذكرها الله سبحانه وذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع.

قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ (البقرة الآية : ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِ ﴾ (البقرة الآية : ٢٨٥)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء الآية : ١٣٦)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر الآية ٤٩).

وأخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

- **أصول الإيمان وأركانه :**

- الأصل الأول : الإيمان بالله

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله واحد في أفعاله، واحد في عبادته، واحد في أسمائه وصفاته.

وقد اشتمل هذا التعريف على أقسام التوحيد الثلاثة وهي:توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

أولاً : توحيد الربوبية :

وهو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتدبير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

أدلته:

أ - من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (لقمان : ١٠ ، ١١). وقوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ (الطور : ٣٥) وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ (الأعراف: ٥٤)

ب - من السنة النبوية: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعا وفيه : (السيد الله تبارك وتعالى . .) (صحيح الجامع ٣٧٠٠).
وقد ثبت في الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما : . . . « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (صحيح الجامع٧٩٥٧).

ج - دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه، سواء في خلق النفس البشرية أو في خلق الكون.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟.
فقالوا: «هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟».
فنبّه إلى أنّ اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده.

الدرس الثاني

تابع الأصل الأول
الإيمان بالله

ثانياً: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله بالعباده، وأن الله عز وجل هو الإله الحق المستحق للعبادة دون ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم، وعقاب عاصيهم؛ فلا ندعو إلا الله ولا نتوكل إلا عليه ولا نرجو إلا الله ولا نستعين ولا نستغيث إلا بالله ولا نقدم النذر إلا لله وحده لا شريك له، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين، قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨)

أدلته:

أ - من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (النساء: ٣٦)، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥) ونحوها من الآيات.

ب - من السنة النبوية: ما رواه البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم . قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال: أن لا يعذبهم ».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال له: « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات » . . . . الحديث. رواه البخاري

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إفراد الله بما له من الأسماء والصفات، وذلك بإثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.

أدلته:

قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١). ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله عز وجل وفي هذا إشارة إلى أن ما يثبت لله من السمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين.

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (النحل: ٧٤).

قال الطبري في تفسير الآية: "فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه".

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: "هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهًا".

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص: ٤) قال الطبري: "ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء".

الدرس الثالث

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة

وهو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة خلقهم من نور، ووكلهم بأعمال يقومون بها، ومنحهم الطاعة التامة لأمره والقوة على تنفيذه.

والملائكة: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به.

أدلته:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة : ١٧٧). فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ، والبرُّ اسم جامع للخير.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء : ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

ومن السنة: حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال : صدقت).

• **كيفية الإيمان بالملائكة:**

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي:

١ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

٢- الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر: ٣١).
أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قال بذلك بعض السلف.
وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم». وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرامتهم وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧). وقال جل وعلا ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس: ١٥، ١٦). فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه. وقال تعالى في حقهم ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ (فصلت: ٣٨) فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ (الصافات: ١-٣). وقال عز وجل: ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ (المرسلات: ٤، ٥).

٤- اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٥). وقال عز وجل: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (النساء: ١٧٢) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » . .).

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل بالوحي، فشرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرَف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (الشعراء: ١٩٣). وقال عز وجل: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ (القدر: ٤). وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله تعالى إضافة تشريف. قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: ١٧). ومما جاء في وصفه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (التكوير: ١٩- ٢١). وقال تعالى ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ (النجم: ٥، ٦) فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

٥- موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١) فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦). وأخبر جل وعلا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم: ٤) وقال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (الأحزاب: ٤٣) وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ (فصلت: ٣٠). فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٩٨). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

٦- الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠). وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٩). فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم.

٧- الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهم.

الدرس الرابع

وظائف الملائكة

١- الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥) وقد تقدم أنه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته.

٢- الموكل بالصُّور وهو إسرافيل عليه السلام. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور ؟ فقال: قرن ينفخ فيه » ورواه أيضا الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (صحيح الجامع ٣٨٦٣).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول ؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » قال الترمذي حديث حسن (صحيح الجامع ٤٥٩٢).

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (النمل: ٨٧). وهذه هي نفخة الفزع وقد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨).

٣- الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١١).

٤- الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في الصحيحين في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد. فقال : ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ». والأخشبان : هما جبلا مكةَ : أبو قبيس والذي يقابله.

٥- حملة العرش قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (غافر : ٧).
وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ (الحاقة : ١٧)

٦- خزنة الجنة. قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر : ٧٣).

٧- خزنة النار عياذاً بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (العلق : ١٧، ١٨). وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (المدثر : ٣٠، ٣١).

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (الزخرف : ٧٧). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل ».

٨- الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار: ١٠- ١٢) وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٧ ، ١٨) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

٩- الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما مُنْكَر ونَكِير. فقد أخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا قبر الميت أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل » . . .) الحديث. قال الترمذي حديث حسن.(صحيح الجامع ٧٢٤)

الدرس الخامس

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

وهو الاعتقاد الجازم بأنها كلها منزّلة من الله عز وجل، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده، وأنه يصدق بعضها بعضًا فلا تناقض بينها ولا تعارض، والاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله بالقرآن الكريم.

أدلته:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

ودل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن أركان الإيمان، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان.

- **أسماء الكتب المنزلة:**

١- القرآن العظيم الذي أُنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام - ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة الآية: ٤٤).

٣-الإنجيل الذي أنزل على عيسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة الآية: ٤٦).

٤- الزبور الذي أوتيه داود - عليه السلام - ، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (الإسراء الآية: ٥٥).

٥- الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم الآية : ٣٦ - ٣٧) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى الآية : ١٨ / ١٩).

- **القرآن الكريم محفوظ من الله جل وعلا:**

القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩). وقال تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢).

وأما الكتب الأخرى فقد دخلها التحريف، فقد أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتب الله المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥). وقال عز وجل: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (النساء : ٤٦).

وقال تعالى مخبرا عن النصارى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ (المائدة : ١٤ ، ١٥).

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة : ٧٩).

الدرس السادس

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل:

- **تعريف النبي والرسول والفرق بينهما:**

النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.
والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.
والفرق بينهما:
أن النبي هو من نبّأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.
وأما الرسول فهو من أُرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته.
وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ (غافر: ٣٤).
وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٣، ١٦٤).
والإيمان بالرسل هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وبأنهم جميعهم صادقون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، وبأنهم بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة، وأنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم.

- **أدلة الإيمان بالرسل:**

هي نفس الأدلة التي ذكرت في الأصول السابقة، بالإضافة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ (النساء : ١٥٠ ، ١٥١). فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم، ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء : ١٥٢). فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

- **الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن:**

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام : ٨٣-٨٦). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (الأعراف : ٦٥). وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ (الأعراف : ٧٣). وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف : ٨٥). وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ (آل عمران : ٣٣). وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٥). وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح : ٢٩).

- **أولو العزم من الرسل:**

أي: ذوو الحزم والصبر. قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم . قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى" وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه:

الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب : ٧).

والثاني في سورة الشورى. قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣). وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل.

وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع ».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون »

الدرس السابع

حقوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أمته

١ - الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ (التغابن: ٨). وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨). وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر: ٧).

٢ - وجوب الإيمان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣). وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، و ليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه» السلسلة الصحيحة (٦ / ٨٦٥).

٣ - محبته صلى الله عليه وسلم وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا صلى الله عليه وسلم مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤). فقرن الله محبة رسوله صلى الله عليه وسلم بمحبته عز وجل وتوعد من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾. وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»

٤ - تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله. قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح : ٩). وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٧). قال ابن عباس: «تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه» وينبغي عدم الغلو في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإنزاله فوق منزلته، مما يختص به الله عز وجل، من الدعاء والاستغاثة والتوسل وتدبير الكون، ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » والإطراء : هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح.

٥ - والصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب : ٥٦) وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ». وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي »(صحيح الجامع٢٨٧٨)

٦ - ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم محبة أهل بيته وأزواجه وأصحابه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء قال تعالى في حق قرابة رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣). جاء في تفسير الآية: «قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي» وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا في الناس فقال: «أما بعد ألا أيها الناس . فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه الهدى والنور . فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به». فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » أخرجه الشيخان.

الدرس الثامن

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر

وهو التصديق الجازم بإتيانه لا محالة والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والفزع وتفاصيل المحشر ونَشْر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض والشفاعة، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز جل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل.

أدلته:

هي نفس الأدلة التي ذكرت في الأصول السابقة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦)

- **أسماء اليوم الآخر:**

لقد سُمّي هذا اليوم بأسماء كثيرة ومتعددة؛ تدل على تحقق وقوع هذا اليوم، مثل: الحاقة، والواقعة، والقيامة.

وبعض هذه الأسماء يدل على ما سيقع فيه من الأهوال مثل: الغاشية والطامة والصاخَّة والقارعة.

ومن أسماء اليوم الآخر في القرآن: يوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد.

وقد اشتمل الإيمان باليوم الآخر على أمور، نعرض لها على سبيل الإجمال:

• أشراط الساعة

وهي علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد : ١٨).

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة:

وهي التي ظهرت وانقضت.

- منها بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين . وضم السبابة والوسطى ».

- ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه ، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (القمر : ١)

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة:

وهي التي ظهرت ولم تنقضِ بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

- منها أن تلد الأمة ربتها - الأمة المرأة المملوكة، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر لولده- وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقد تقدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه : « قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها، قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ».

- ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة، لما روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»

القسم الثالث: العلامات الكبرى: وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت.

وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: «اطّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»

الدرس التاسع

نعيم القبر وعذابه

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان باليوم الآخر التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥ ، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر). وقال الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور). قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧) أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ». وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر »

- **البعث**

وهو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وقد دَلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات،

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن : ٧).

وقوله عز وجل: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان : ٢٨).

ومن السنة ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال : ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش » . .). وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين: « فأكون أول من تنشق عنه الأرض ». فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامة من قبورهم إلى أرض المحشر وفيهما فضيلة للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه أول من يبعث.

- **الحشر**

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلا قال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٧)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم : ٤٨).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا-غير مختونين-) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر إما إلى الجنة وإما إلى النار، فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (مريم : ٨٥).

وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (الإسراء: ٩٧).

الدرس العاشر

الحوض

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في المحشر يرِده هو وأمته. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء ». وفي الصحيحين كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا ».
والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الجنة قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر : ١)

- **الميزان**

وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ . . الآية (الأنبياء : ٤٧)، وقال عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ (القَارعة : ٦-٩). وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»

• **الصراط**

وهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم : ٧١ ، ٧٢) ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (. . « ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا ».

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويمرون فوقه على قدر إيمانهم على ما جاء في الحديث السابق.

• **الجنة والنار**

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (النجم : ١٣-١٥)، والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ». وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهار الجنة كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة ». وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء : ٤٨) وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمن بن أسلم: (درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ . . . الآية (النساء : ١٤٥)، وللنار سبعة أبواب، قال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر : ٤٤)، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذيَ أخرجه الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ».

- **ثمرات الإيمان باليوم الآخر:**

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها :

١- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفا من عقاب ذلك اليوم.
٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
٣- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده.

الدرس الحادي عشر

الأصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

القضاء: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك.

والفرق بين القضاء والقدر. أنّ القدر: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء.

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر.

أدلته:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب : ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن أركان الإيمان فذكر منها : « الإيمان بالقدر خيره وشره »

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال : وكان عرشه على الماء ».

- **مراتب القدر:**

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق : ١٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٠). وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢). ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٩). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له ».

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢). وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم: « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض ».

- **ثمرات الإيمان بالقدر:**

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك :

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

جمعية خدمة القرآن الكريم

جمعية خدمة القرآن الكريم جمعية علمية وخيرية متميزة متخصصة في مجال القرآن الكريم وعلومه، تأسست سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م بموجب قيد رقم /٩ ج/ع.ث.أج الصادر من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمملكة البحرين.

رؤيتنا:

نعمل على أن تكون جمعيتنا واحدة من أكثر الجمعيات حضوراً وريادة في مجال العمل القرآني على المستوى العالمي.

رسالتنا:

نتشرف بأن تكون رسالتنا:

أ- الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وجمع كلمة المسلمين عليه.

ب- العناية بالمصحف الشريف ونشر علوم القرآن.

ج- رعاية معلمي القرآن الكريم وحفاظه وطلابه وإكسابهم المكانة اللائقة بهم.

د- تسهيل تلقي القرآن الكريم وحفظه ودراسة علومه لمختلف شرائح المجتمع.

من برامجنا:

١- تنظيم مسابقة سيد جنيد عالم الدولية لحفظ القرآن الكريم وتجويده.

٢- إنشاء معهد متخصص لتدريس القراءات وعلوم القرآن الكريم وتأهيل المعلمين والمعلمات لمباشرة التدريس.

٣- رعاية معلمي القرآن الكريم وحفاظه وطلابه وتقديرهم.

٤- توظيف التكنولوجيا الحديثة والإنترنت في تدريس القرآن الكريم ونشر علومه.

٥- تكوين قاعدة بيانات واسعة عن العلماء والقراء المتخصصين في مجال القرآن الكريم وتدوين سيرهم وكيفية الاتصال بهم.

٦- إقامة الدورات العلمية والندوات والمحاضرات والمسابقات القرانية المتخصصة.

٧- التواصل مع الجمعيات العاملة في مجال القرآن الكريم خارج مملكة البحرين وتنفيذ برامج وأنشطة مشتركة.

هاتف: ١٧٦٨٦٠٩١ (٩٧٣) ، موبايل: ٣٦٣٤٤٧٤٤ (٩٧٣) ، فاكس: ١٧٦٨٦٠٩٢ (٩٧٣)
ص.ب: ١٦١٦٢ مملكة البحرين - info@sayedjunaid.org ، www.sayedjunaid.org